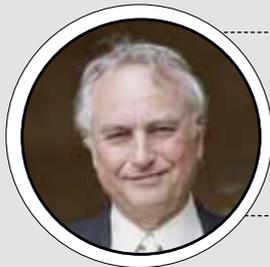


# دليل الحدوث

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ  
النَّشْأَةَ الْأُخْرَى إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [العنكبوت: 20]



ريتشارد دوكنز

عالم الأحياء وأحد أشهر الملحدين المعاصرين

«بما هناك أسئلة لا يستطيع العلم التجريبيّ الإجابة عنها، مثل السؤال المتعلق بأصل الأشياء»<sup>①</sup>

## ○ هل يُمكنُ للعِلْمِ التجريبيّ إثبات أو نفي وجود إله؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نحتاج أولاً إلى فهم حقيقة العلم التجريبيّ، يَعتمد المنهج التجريبيّ بشكلٍ أساسيٍّ على مشاهدة الظواهر الطبيعية الماديّة المختلفة ورصدها بالعين المجرّدة أو بأدوات الرّصد، من أجل الوصول لمعلومات متعلّقة بهذه الظواهر، ثم تحليل هذه المعلومات واختبار صحتها بواسطة تكرار الرّصد والملاحظة لإنشاء نظريّة علميّة، أو إعادة التأكّد من صحّة أو بطلان نظريّات علمية سابقة موجودة بالفعل.

فالعلم التجريبي Science يعتمد في الأساس على الملاحظة، وقبل الملاحظة يعتمد على قانون السببية الذي يقضي بأن لكلّ حادثٍ سبباً؛ وأما وجود الله فهو من المباحث التي تثبت بالبراهين العقلية؛ ولكنّ النظر في الكون، وفي نظام العالم هو أحد مقدّمات هذا الدليل التي يتوصّل بها إلى الاستدلال على وجود الله والإيمان به، فتدبّر الآيات الدالّة على افتقار العالم للخالق واحتياجه للصانع الحكيم طريقٌ موصّل للإيمان بوجوده سبحانه، **كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ؟ [العنكبوت: 02]**

فالإيمان بالله والاستدلال على وجوده يأتي من خلال النظر في بعض مكونات العالم، ومعرفة كونها حادثة لها بداية؛ ومن هنا سُمّي العالم عالمًا؛ لأنه علامة على صانعه.

و”حدوث العالم“ -أي كونه له بداية من الوجود- يُعتبر المقدّمة الأولى والأهمّ في الاستدلال على وجود الله.

## ○ البرهان الكوني:

دليل الحدوث، أو البرهان الكوني، أو الدليل الكوزمولوجي (Kalam Cosmological Argument) هو أحد أشهر الأدلّة على وجود الخالق، وسُمّي هذا الدليل بالدليل الكونيّ لأنّه ينطلق من ملاحظة بعض الموجودات في الكون، والاستدلال من خلال التّطرّف في صفات هذه الموجودات على كونها حادثة أي لوجودها بداية؛ ومن ثمّ افتقارها إلى خالق أو فاعل أو سببٍ أول.

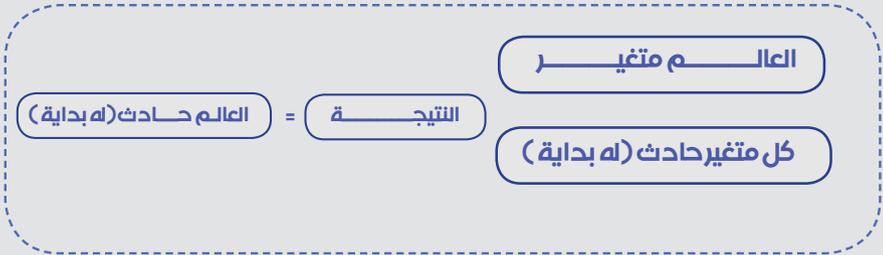
وقد اشتهر المُتكلّمون المُسلمون بهذا الدليل، خصوصاً الأشاعرة والمعتزلة، بينما لم يهتمّ به أكثر الفلاسفة في العصور السابقة، حتى أُعيد إحيائه في الفكر الغربي المعاصر بانضمام الشواهد التي تدعم بداية الكون من العلوم والنظريّات الفيزيائية المعاصرة.

ومن مُميّزات هذا الدليل أن الأحكام والعقائد المستفادة منه أكثر من تلك التي استُفيدت من دليل الإمكان؛ لأنّ دليل الإمكان لا يدلّ إلا على وجود علّة لهذا العالم، أما دليل الحدوث فيدلّ على وجود صانع موصوف بالقدرة والعلم والإرادة، فهو أكثر فائدة وأشدّ قوّة على الصفات الواجبة للخالق.

## ○ تعريف الحُدُوث:

يُعرِّف المتكلمون معنى الحدث بأنه: «وجود الشيء بعد عدمه»<sup>٢</sup> ومعنى وجوده بعد عدمه أنه وُجد لا من مادّة سابقةٍ عليه كانت موجودةً قبله، كوجود الابن من نُطفة الأب مثلاً، أو وجود الكرسي من أخشاب الأشجار، لكنّ العالم وُجد لا من شيء، فالمُعْتَبَر في معنى الحدث أن يكون الموجود مسبوّقاً بالعدم، وعليه فإن المكان Space والزمان Time لم يكونا موجودين قبل وجود العالم، ولم يوجد العالم في لحظةٍ زمنيّة مُعيّنة بل بدأ الزمان مع وجود العالم وعند خَلْقِهِ؛ إذ لا يُتصوّر معنى الزمان إلا من خلال الحركة القائمة بموجود بالفعل.

## ويمكن عرض هذا الدليل بالصورة الآتية:



## ثم تؤخذ هذه النتيجة في قياس آخر، فيقال:



## وإليك دليل كل مقدمة من هذه المقدمات:

**-أما المقدمة الأولى في القياس الأول وهي كون (العالم متغيرا)** فهو أمرٌ مُشاهد من حولنا فالعالم يتكوّن من أجسام، وهي ما يشغل حيزًا من الفراغ، ويقوم بهذه الأجسام صفات مُتغيّرة ومُتعاقة مثل السخونة والبرودة، والحركة والسكون، والصفاء والكدورة، والألوان المختلفة، وكذلك الكائنات الحية تنمو وتكبر ثم تشيخ وتهلك، وهناك نجوم تولد وأخرى تموت ثم تتحول إلى ثقوب سوداء، وأيضا المعادن بفعل التسخين تتسارع حركة جزيئاتها وتتباعد عن بعضها البعض فتتحول لحالة أخرى مختلفة عن حالة الصلابة التي كانت عليها لحالة سائلة أو غازية. وهكذا، وهذه الصفات والأحوال المتغيرة مصاحبة وملزمة للأجسام، فلا تخلو مادة أو جسمٌ ما عن صفة واحدة على الأقل من هذه الصفات المتغيرة.

**-وأما المقدمة الثانية القائلة بأن كل متغير حادث؛** فلأننا رأينا وشاهدنا بالفعل بداية موجودات ونهايتها، وكان التغير مصاحبا لهذه الموجودات في كل لحظة من لحظات وجودها من بدايتها حتى موتها وفنائها، انظر إلى النباتات من أول كونها بذرة لم توضع بعد في رحم الأرض ثم نموها حتى تذبل وتموت، وكذلك الحيوانات والبشر من أول كونهم نُطفًا في رحم الأمهات ونموهم أطفالا ثم شبابا وشيوخا وحتى موتهم وتحلل أجسادهم، وحتى ما لم نشاهد بدايته وشاهدنا نهايته ككثير من النجوم التي ينطفئ نورها، فالنجم يظل حيا طالما كان مقدار الطاقة المنبعثة من قلبه للخارج، مساويا لتأثير جاذبيته على غلافه الخارجي، ولكن حين يستنفذ وقود الهيدروجين والهيليوم، وتقل تلك الطاقة، فإنه يموت متحوّلا لأحد الصور التالية بحسب حجمه وكتلته: قزم أبيض أو نجم نيوتروني أو ثقب أسود، وذلك بعد المرور بعدة مراحل من الاحتضار. وهذا الاحتضار والنهاية دليل على وجود بداية ولحظة ميلاد له؛ والإلا لما انتهى. فكل ما له نهاية له بداية قطعاً وإن لم نشهد بدايته.

## ولكن هنا قد يسأل سائل: لماذا تكون هذه التغيرات المشاهدة المصاحبة للمادة وللأجسام وصفاتها مستمرة ومتعاقبة من جانب الأزل وحتى اليوم؟

والجواب ببساطة: لأننا أثبتنا أن كل صفة وكل عملية من تلك العمليات المتعاقبة من حركة وسكون ونمو وذبول وإضاءة وانطفاء - كل واحدة منها على حدة - كانت حادثّة، فيستحيل أن يكون مجموعها لا بداية له، لأن ما لا بداية له في جانب الماضي يستحيل أن يصل إلى الحاضر اليوم، وهو ما يسمى بالتسلسل، وسوف يأتي مزيد في إبطال أدلة استحالة.

**-وأما المقدمة الثانية في القياس الثاني التي تقول:** «كل حادثٍ يفترق إلى موجد» فلأن معنى الحادث هو الشيء الذي أصبح موجودا بعد أن كان معدوما، ومعنى ذلك أن حقيقته تقبل الوجود والعدم معًا بشكل متساوٍ، فلا بد من وجود مرجح وفاعل هو الذي اختار أو رجّح وجوده على عدمه، وهكذا الشأن في كل ما له طرفان متساويان ككفتي الميزان، فإذا مالت إحدى الكفتين على الأخرى فلا بد من وجود سبب أو علة رجحت هذا الميل، وهذا هو جوهر قانون السببية الذي ذكرناه في البداية وهو استحالة الترجيح من غير مرجح.

## ○ قوانين الديناميكا الحرارية وبداية الكون:

ساد لدى عدد من الفلاسفة قديماً وبعض العلماء التجريبيين في بدايات عصر النهضة اعتقاد بأن العالم أزلّي؛ أي أنه موجود بلا بداية، وانتشر هذا الرأي في عدد من الأوساط العلمية في أوروبا رغم أنه لم يكن هناك دليل تجريبي يؤكده، وسمّيت هذه الفرضية باسم ((الحالة المستقرة)) وكانت تقتضي هذه الفرضية بأن المادة تظهر على الدوام وتنص ضمناً على أن ((الكون ليس له بداية أو نهاية)).<sup>③</sup>

في عام ١٨٥٠ م بيّن رودولف كلاوزيوس (Rudolf Clausius) الفيزيائي الألماني وأحد مؤسسي علم الديناميكا الحرارية أن الآلة البخارية تعمل عندما تسري الحرارة من وسط ساخن إلى وسط بارد داخل الآلة، وأكّد ذلك. تصور الفيزيائي الفرنسي سادي كارنو (Sadi Carnot) أن الطاقة لا تُفنى؛ وإنما يمكن أن يتحول جزء منها إلى شغل، حيث اكتشف كارنو عام ١٨٢٤ م أن البخار الساخن يمكنه تسخين الماء البارد وإنتاج شغل حراري في نفس الوقت،<sup>⑤</sup> فأصبحت العلاقة بين الحرارة والشغل التي أتى بها كلاوزيوس تعرف باسم ((القانون الثاني للديناميكا الحرارية))<sup>⑥</sup>

### يمكن التعبير عن هذا القانون بصيغة (مبدأ كلاوزيوس) والذي ينص على أن:

((الحرارة تنتقل من الجسم الساخن إلى الجسم البارد تلقائياً، حيث يستمر هذا الانتقال حتى يحدث اتزان حراري بين الجسمين، ولا يمكن أن تنتقل كمية من الحرارة من جسم بارد إلى جسم ساخن إلا ببذل شغل من الخارج وجود مؤثر خارجي)).<sup>⑦</sup>

ومن النتائج المهمة للقانون الثاني للديناميكا الحرارية فكرة (الموت الحراري Heat Death) الحتمي للكون» وبالتالي لو كان أزلّيّاً لأصبح الآن ميتاً حراريّاً، ولكن وجود العمليات الطبيعية ووجود الحياة يثبت أن الأمر عكس ذلك تماماً.<sup>⑧</sup>

ويشرح هذا الأمر الفيزيائي بول ديفيز Paul Davies قائلاً: «نعلم اليوم أنه لا يمكن لنجم أن يظل مشتعلاً إلى الأبد؛ فلا بدّ من نفاذ وقوده، ويفيد هذا في بيان مبدأ عام جداً: الكون الأزلّي يتعارض مع استمرار وجود العمليات الفيزيائية التي تخضع للتغيرات الانعكاسية. فإذا كان بإمكان الأنظمة الفيزيائية أن تخضع للتغيرات اللا انعكاسية بمعدل محدود.. فهي إذن ستنتهي من تلك التغيرات منذ زمن لا نهائي مضي.<sup>⑨</sup> فالتنبؤ بموت حراري كوني نهائي لا يشير إلى مستقبل الكون فقط، ولكنه كذلك يقدم شيئاً مهمّاً عن ماضيه، فمن الواضح: أنه إذا كان الكون يتضاءل نشاطه بصورة مطردة لا انعكاسية. فهو إذا لا يمكنه أن يكون سرمدى البداية، والسبب بسيط؛ فهو لو كان كذلك لكان مات بالفعل، وبمعنى آخر: إن الكون يجب أن تكون له بداية محدّدة.<sup>⑩</sup>

③ Frank Close, Nothing: A Very Short Introduction, Oxford (University Press 2009), P.41.

④ Clausius, R. (1854). Ueberineveranderte Form des zweiten Hauptsatzes der mechanischen Warmetheorie. Annalen der Physik PDF (481-506).

⑤ Entropy and the second law - Boston University Physics.

⑥ Clausius, R. (1850). "Ueber Die Bewegende Kraft Der Wärme Und Die Gesetze, Welche Sich Daraus Für D

⑦ Second law of thermodynamics in the MIT Course. Unified Thermodynamics and propulsion from Z. S. Spakowszky.

⑧ انظر الصنع المتقن، دلالات الفيزياء على وجود الخالق. مصطفى نصر قديح ص 32

⑨ Paul Davies (1992). Mind of God: The scientific Basis for a Rational World. New York: Simon & Schuster. P.46.

⑩ Paul Davies (1994). The Last three minutes: Conjectures about the Ultimate Fate of the Universe. Basic Books. P.13

وانظر أيضاً كتاب الصنع المتقن، دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح ص 33



الكثيرون لا يحبون الفكرة القائلة بأن للزمن بداية، غالباً من أجل أنه يدلّ بوضوح على فكرة التدخل الإلهي .

ستيفن هاوكنج، تاريخ موجز للزمن ص 94.

### ستيفن هاوكنج

في بدايات القرن العشرين بدأت أبحاث أغلب الفلكيين والفيزيائيين تميل لترجيح فكرة تَوَسُّع الكون، بعدما كانت الفكرة السائدة قبل ذلك هي فكرة الكون الثابت، فقد أثبتت أبحاث ألكسندر فريمان أن الكون في ضوء نظرية النسبية العامة لا يمكن أن يكون ثابتاً مُستقرّاً، وإنما هو متحرك. إما بالتوسع أو التقلص، ثم أثبت بعده عالم الفلك البلجيكي جورج لوميتر أنّ الكون يتوسع اعتماداً على كشف الفلكي الأمريكي فيستو سيلفر لظاهرة الانزياح الأحمر سنة 1912م.



كما أثبتت أبحاث الفلكي الأمريكي إدوين هابل في العشرينيّات من القرن الماضي تمدد الكون بقيمة ثابتة، بعد عمله الرصدّي بتلسكوب جبل ويلسون وحساباته الرياضية، كما مكّنتنا مرصد هابل الفضائي من رؤية الكون بعد ميلاده برصد صورة أقدم مجرات من الممكن رؤيتها، مضى عليها 13.2 مليار سنة.<sup>①</sup>

### إدوين هابل

وقد استنتج كل علماء الكونيات أن رفض الكون للثبات وتوسع الكون دليل على انكماشه في تاريخه القديم وأنه بدأ من مفردة في غاية الصغر (Singularity) ذات ضغط وكثافة وحرارة عالية جداً، ونتيجة لهذا الضغط والحرارة بدأ الانفجار الأولي للكون من هذه المفردة، فالكون قد بدأ مضغوطاً جداً ثم تمدد بسرعة كبيرة، بحيث تقل كثافة المادة بانتظام على مدى الزمن كلما تزايد حكم الكون، وكان هذا هو الذي عُرف بعد ذلك باسم الانفجار العظيم (Big Bang).<sup>②</sup>

وقد اعترف بضعف الرؤية الثابتة الأزلية للكون وقوة نموذج الانفجار العظيم الفيزيائي الملحد لورانس كراوس في كتابه: "كون من لا شيء" فقال: ( يعرف الجميع الآن باستثناء بعض المشرفين على المدارس في الولايات المتحدة أن الكون ليس مستقرّاً؛ وإنما هو يتمدد ، وأن هذا التمدد قد بدأ في انفجار كبير حار جداً وكثيف منذ قرابة 13.72 مليار سنة).<sup>③</sup>



### لورانس كراوس

ويجدر هنا الإشارة أنه بافتراض وجود أكوان أخرى على كوننا قبل الانفجار العظيم لزم أن يكون هناك بداية أيضاً لمجموع هذه الأكوان، وهو ما أكده الفيزيائي الكبير اللا أدري (ألكسندر فلانك) إذ كتب سنة 2007م أن ( كل نظرية تقرر توسع الكون بقيمة لا تنزل تحت الصفر، مهما كانت ضالّة هذا التوسع يجب أن تؤول إلى الإقرار ببداية هذا الكون أو هذه الأكوان المتعاقبة دون حاجة للدخول في أيّة تفاصيل أخرى للأكوان التي تفترضها هذه النظريات بما في ذلك أمر الجاذبية ).

① Hubble Reveals Universe's Oldest Galaxies. <https://news.nationalgeographic.com/news/2014/01/140107-hubble-oldest-frontier-science-space-astronomy/>

② Paul Davies (1994). The Last three minutes: Conjectures about the Ultimate Fate of the Universe. Basic Books. P22, 23.

③ Lawrence M. Krauss, A universe from Nothing: Why There Is Something Rather than Nothing P3.

④ Alexander Vilenkin, Many Worlds in One The search for other Universes P 175.

## ○ لماذا يستحيل أن يكون كوننا نتاج تغيرات متعاقبة ومستمرة في جانب الماضي:

قد يقول بعض الناس: لماذا لا يكون العالم لم يزل على ما هو عليه، ولم تنزل دورات الأفلاك قبلها دورات أخرى وهكذا بلا بداية لها، ثم لم تنزل الحوادث في عالم الكون والفساد تتعاقب كذلك بدون افتتاح، فكل ذلك مسبوق بمثله، وكل ولد مسبوق بوالده، وكل زرع مسبوق ببذره، وكل بيضة مسبوقة بدجاجة وهكذا.

والجواب: أن فكرة تعاقب واستمرار سبق كل حادث بحادث مثله والتي تسمى: "تسلسل الحوادث" هي فكرة مستحيلة عقلا، لأنه يترتب عليها أن هناك عددا لا نهائيا من الموجودات الحادثة التي لها بداية قد وجدت بالفعل، وهو ما يعني أن الما لا نهاية قد تحققت بالفعل في الوجود، وهو أمر مستحيل لأن اللانهاية لا تقبل الزيادة أو النقصان، لكن العالم ما زالت تتجدد فيه كثير من المخلوقات والموجودات شيئا فشيئا وهو ما يعني أنه لا بد أن يكون لأحاديثها أول تبدأ من عنده. وقد اتفق جميع الرياضيين على أن مفهوم الما لا نهاية أو Infinity هي مجرد مفهوم رياضي غير متحقق في الواقع، لأن انتهاء ما لا نهاية له جمع بين النقيضين.

### فمن خلق الله؟

عند هذا قد يقول قائل: سلمتُ أن لهذا الكون إلهًا لكن هذا الخالق أو الإله من الذي خلقه وأوجده ولماذا لا يكون هو الأخرعة لغيره.

وهو ما سنجيب عنه في المطوية القادمة.

إصدارات أخرى من مبادرة سؤال ( أبحاث ) .

- ١ . قيمة السؤال .
- ٢ . استدلال الشيخ مصطفى صبري على وجود الله في السياق الحدائثي .
- ٣ . مقتطفات من تاريخ الفلسفة في العالم الإسلامي .
- ٤ . الأخلاق والتجريبية ، نظرات نقدية في كتاب «المشهد الأخلاقي»  
لسام هارس .
- ٥ . هل السؤال ممنوع ؟
- ٦ . مدخل إلى دراسة الأزمة الروحية الغربية .
- ٧ . حول زعم ستيفن هوكينغ أن الفلسفة ماتت .
- ٨ . القدرة الألهية وعالم الأسباب .
- ٩ . روح العلم .
- ١٠ . مدى حجية إعجاز القرآن .
- ١١ . التعددية الدينية .

إصدارات أخرى من مبادرة سؤال ( مطويات ) .

- ١ . من حقي أسأل .
- ٢ . العقلية الخرافية .
- ٣ . الإيمان الأعمى .

Suaal.org

-  facebook.com/suaalorg
-  twitter.com/suaalorg
-  youtube.com/suaalorg
-  instagram.com/suaalorg

دار الفقيه  
DA'AR AL FAQIH  
www.daralfaqih.org



مؤسسة طابه  
Tabah Foundation  
www.tabahfoundation.org

مبادرة سؤال هي إحدى مبادرات مؤسسة طابه للأبحاث والاستشارات